الخلافة الإسلامية في المنظور الاستشراقي

الباحثة شمم باقر كاظم
edu-hist.post63@qu.edu.iq
أ.م.د. زهير يوسف الحيدري
Zhei_2013@yahoo.com
جامعة القادسية – كلية التربية

الملخص

يؤكد المستشرق برنابي روجرسون أن وجود النبي صل الله عليه وآله وسلم بشخصيته العظيمة قد هيمن على كل الخلافات ,لكن بعد موت النبي كانت طبيعة المدينة مختلفة نوعاً ما ,إذ أن كلا التراثين السني والشيعي هما يمثلان عقيدة واحدة , ولقد هيمن كل من خلفاء الإسلام العظماء , رغم أن أحد هؤلاء الخلفاء هو له الأحقية في خلافة من بعد الرسول الكريم صل الله عليه وآله وسلم , إذ كل من هؤلاء الخلفاء له اسلوبه في ممارسة خلافته من وجهة نظر المؤلف.

الكلمات المفتاحية: الخلافة الإسلامية في المنظور الاستشراقي.

The Islamic Caliphate in the Orientalist Perspective

Shamam Baqer Kazak Assist .A.M.D. Zuhair Yousef Al-Haidari
edu-hist.post63@qu.edu.iq Zhei_2013@yahoo.com
Al-Qadisiyah University - College of Education

Abstrac:

The orientalist Barnaby Rogerson confirms that the presence of the Prophet, may God bless him and his family and grant him peace with his great personality, dominated all the disputes, but after the death of the Prophet, the nature of the city was somewhat different, as both the Sunni and Shiite heritages represent one belief, and each of the great caliphs of Islam dominated. Although one of these caliphs has the right to a caliphate after the Holy Prophet, may God bless him and his family and grant him peace, each of these caliphs has his own method of practicing his caliphate from the point of view of the author.

المقدمة :

إن الأحداث تتجول في كتاب ورثة محمد لبارنابي روجرسون بعين القراءة الناقدة ومع تفهم بعض أخطاء الكاتب الناتجة عن تأثره بكتابات المستشرقين وضعف إلمامه بالعربية، إلا أن الكتاب يفتح آفاقا كبيرة للتفكر والبحث وخاصة في تلك المرحلة التي أعقبت وفاة النبي صلى الله عليه واله وسلم، واختلاط الديني بالسياسي وأصل الخلاف الذي فرق المسلمين, لفرق كثيرة يجمعهما دين واحد ويفرقهما تأويل النصوص وأمور السياسة، واختلاف الأفهام والتقديرات ،وهو الأمر المنطقي بعد موت النبي وانقطاع الوحي, لذا أن ورثة محمد كتاب قيم لبرنابي ريجرسون حول الصراع السني الشيعي، وللآخر زوايا رؤية مختلفة وموضوعية بدرجة كبيرة؛ لتخلصها من العواطف والمقدسات واول ما استوقفني من الكتاب تلميح الكاتب لهدف مهم وهو كيف للغرب أن ينظر نظرة فيها شيء من الاحترام لمحمد كما ينظر المسلمون لموسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام، ودور ذلك في أمن وسلام العالم، وإن كان لي أن أضيف ما أخص به المسلمين فعلى الشيعة والسنة أن ينظر بعضهم إلى بعض نظرة أهل الكتاب الواحد والنبي الواحد والقبلة الواحدة، فبذلك يصبح المسلمون أكثرا إسلاما وسلاما بين أنفسهم وبينهم وبين الناس.

المطلب الأول: كتاب ورثة محمد برنابي روجرسون:

أولاً: سبب تأليف الكتاب :

لم يبح برنابي روجرسون عن الأسباب الحقيقة وراء تأليف هذا الكتاب، فهو لا ينتمي إلى ديانة الإسلام من جهة، ولا يهمه تطبيب ومداواة هذا الصدع الكبير بين السنة والشيعة الذي أحدثه الأيام والتاريخ منذ أربعة عشرة قرناً من الزمن، ويمكننا أن نقول أن هذا الكتاب هو محاولة بحثية من الكاتب الإنجليزي للوقوف على حقيقة الصراع السني الشيعي، وقد توصل إلى أنه لا يوجد أية فوارق دينية بين السنة والشيعة، وإنما هذا الاختلاف يرجع إلى جذور سياسية واجتماعية واقتصادية. ويعد هذا الكتاب خطوة لفهم حقيقة النزاع الشيعي السني في ظل مقاربة تاريخية لها جذور عميقة في الدولة الإسلامية ، حيث تعود بداية النزاع السني الشيعي إلى ما بعد وفاة النبي محمد صل الله عليه وسلم وظهور طائفة تنادي بضرورة إعطاء الخلافة لعلي كرم الله وجهه كابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وله الأحقية وكامل الأفضلية في الخلافة وأن لا يجب أن تذهب الخلافة إلى غير آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فعلي شارك النبي في الإيمان المطلق بعظمة الله وملازمته لكل شيء وخوفه من الحاضر دائما من العقاب الإلهي[1]، ومن هنا تنامت هذه الأفكار وتوسعت على مر الأزمنة والعصور لتشكل المذهب الشيعي كما هو معروف حاليا، وان كان منقسم إلى ثلاثة طوائف (الزيدية والإسماعيلية والإثنى عشرية)،

فتاريخيا رأى الشيعة أنهم مضطهدين على أيدي الكثير من الولاة والأمراء الذين تعاقبوا على حكم الدولة الإسلامية من الأمويين والعباسيين، ولا يزال هذا الشعور المتنامي لدى فئات كثيرة منهم خاصة من هم في سدة الحكم حاليا في إيران ومختلف الدول التي توجد فيها أقليات شيعية[2].

ومن أسباب تأليف هذا الكتاب أن برنابي روجرسون لم يجد أية فوارق دينية بين السنة والشيعة، فيقول برنابي روجرسون : وعندما نتفحص الممارسات–العبادات– الدينية للمسلمين السنة والمسلمين الشيعة نجد أن الفروق ضئيلة لا تكاد تُذكر ، فالشيعة يعترفون بالقرآن نفسه (النص عند كليهما واحد) وهم يصلون الصلوات الخمس اليومية، ويتبعون تقويما واحداً ، ويلتزمون في صومهم بالالتزامات نفسها ، وكلاهما يحج ملتزما بالطقوس (الشعائر) نفسها ، حتى الفروق الدينية أو العبادية التي يراها طفيفة جداً ، سرعان ما يجد لها مثيلاً عند الطرف الآخر، فالشيعة يوقرون قبور آل البيت ويزورونها ويطوفون بها ، لكن هذا الأمر نفسه وجده المؤلف في كل البلاد الإسلامية الأخرى التي لا تعتنق رسميا المذهب الشيعي، والتي إذا سألت أي واحد فيها لقال لك إنه سنى مع أنه داخل ضريح الحسين عليه السلام أو السيدة نفيسة عليها السلام [3].

وعلى العموم فإن الكتاب يعد تجربة جيدة لبيان أن نقاط الاتفاق والالتقاء الديني بين السنة والشيعة كثيرة، وأن الخلافات السياسية التاريخية منذ القرن الأول الهجري سببت هذا الصدع الكبير بين الفريقين، وهذه هي الفكرة الرئيسة التي دارت عليها الكتاب.

ثانياً: طبعات الكتاب وترجماته.

صدر كتاب ورثة محمد – صلى الله عليه وسلم – وجذور الخلاف السني الشيعي للمؤلف الإنجليزي برنابي روجرسون عام 2006 تحت عنوان (The Heirs Of The Prophet Muhammad: And the Roots of the Sunni–Shia Schism)، طبعة Little, Brown بالمملكة المتحدة البريطانية، وطبع الكتاب طبعة أخرى عام 2010م ، طبع بمطبعة Hachette بالمملكة المتحدة البريطانية.

وطبع الكتاب في عام 2007 بعنوان (The heirs of Muhammad: Islam's first century and the origins of the Sunni–Shia split)، طبعة : Woodstock Overlook Press بنيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، وصدر أيضاً في عام 2007 طبعة Harry N. Abrams بجامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وصدر الكتاب باللغة العربية لأول مرة ضمن سلسلة علوم اجتماعية، التابعة للهيئة العامة للكتاب المصرية عام 2010 بعنوان "ورثة محمد صلى الله عليه وسلم، جذور الخلاف السني الشيعي" ، بترجمة د. عبدالرحمن عبد الله الشيخ، وتعليق أ.د عبد المعطي محمد بيومي.

ثالثاً: قيمة الكتاب العلمية.

يعد الكاتب برنابي روجرسون من الكتاب الغربيين القلائل أصحاب الرؤية الحيادية لتاريخ الإسلام، بل نراه يعظم من قدر الدعوة المحمدية وأصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يتبن نظرية بعينها، فلم يتبن رواية سنية معادية لكل ما هو شيعي، ولم يتبن رواية شيعية معادية للسنة، بل وقف موقف الحياد بين الطرفين، لذلك يعد كتابه أفضل كتاب تحدث عن الفترة التي أعقبت وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيقدم دراسة بحثي دقيقة حول هذه الفترة والأسباب الجذري للخلاف السنى الشيعى القائم حتى الآن.

ويكتسب الكتاب قيمة علمية، لأنه قدم دراسة تاريخية حقيقة بين المرويات الشعية والسنية، على مثال أن الشيعة يظنون أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مات على كتف سيدنا علي وفي حجره، ينما الرواية السنية تنص أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مات في حجر السيدة عائشة، والروايتان في نظره لا يضر المسلم المتدين الذي يحب النبي – صلى الله عليه وسلم– ، لذلك يقول : " إن وجود روايتين تاريخيتين مختلفتين: رواية شيعية، وأخرى سنية،وهاتان الروايتان تم تقنينهما في ظل تفسيرات أو تأويلات تنافسية للتاريخ، بعد حوالي مائتي سنة من وفاة النبي، وهذه هي وحدها الحقيقة التي لا مجال لإنكارها، وليس حول النبي محمد نفسه أي خلاف، اللهم إلا القليل، بين التراثين: الشيعي والسني. فتفاصيل حياة النبي لا خلاف عليها بينهما اللهم إلا خلافا رمزيا متعلقا باحتضار النبي، فالشيعة يعتقدون أنه مات بين ذراعي على، أما السنة فيعتقدون انه مات بين سحر عائشة ونحرها (على حجرها). ومن الناحية النمطية، فإن المسلم المتدين سينشأ معتقدا في صحة أحد هذين الخبرين، ومن خلال خبرتي، أقول إن سماع الرواية الأخرى ردا على الرواية التي تكون قد ذكرتها، أمر طريف غالبا ما يكون مدعاة للدهشة. لذا فقد كان هدفي هو احترام كلتا الروايتين (التراثين؛ الشيعي والسني) وأن أجلس لأكون خياطا لأرتق (الأرفو) قطعتين من القماش لأجعل منهما قطعة واحدة مرتوقة (مرفوة او مخيطة). فمن الممكن أن يكون كلا التراثين (الشيعي والسني) صحيحا بمعنى الكلمة[4].

لذلك فالكتاب قدم دراسة تاريخية راقية عرض فيها كافة الروايات السنية والشيعية على السواء بدون تحيز لإحدى الروايات دون الأخرى، كما تميز الكتاب بالأدب مع أصحاب المقام، فلم يرد في الكتاب سباب أو تقليل لاحد من الرموز الدينية السنية والشيعية على السواء، ليؤكد من

خلال كتابه أن الفصل بين السنة والشيعة هو فصل وهمي وان كان له جذور سياسية واجتماعية فالفروق الدينية ليس لها وجود حقيقي.

رابعاً: تبويب الكتاب وموضوعاته.

يناقش الكتاب فكرة نشوء المذهب الشيعى ويوضح أن الخلاف بينه وبين المذهب السنى مجرد خلاف على أحقية تاريخية في وراثة النبي محمد في الحكم وليست خلافات عقائدية.

وقسم المؤلف الكتاب إلى جزاءين، الجزء الأول تكلم عن حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – وتضمن أربعة فصول وهي:

- ✓ **الفصل الأول: المدينة.**
- ✓ **الفصل الثاني: علي الصحابي الأول للنبي.**
- ✓ **الفصل الثالث: الجنود العرب في القرن السابع .**
- ✓ **الفصل الرابع: عائشة وأمهات المؤمنين الأخريات.**

والجزء الثاني انتقل إلى مرحلة ما بعد النبوة وبداية الخلافة وما صاحبها من أحداث تاريخية، والأسباب الداعية للفتنة فى عهد عثمان ابن عفان ثم بين على ومعاوية وبين يزيد والحسين، وتضمن هذا الجزء ستة فصول:

- ✓ **الفصل الخامس: الخليفة أبو بكر وحروب الردة.**
- ✓ **الفصل السادس: فتح الأراضي المقدسة وموت الخليفة الأول.**
- ✓ **الفصل السابع: عمر والانتصارات العظيمة.**
- ✓ **الفصل الثامن: عثمان الخليفة الثالث.**
- ✓ **الفصل التاسع: الإمام علي الخليفة الرابع.**
- ✓ **الفصل العاشر: معاوية الأموي والإمام الحسن والإمام الحسين.**

وطرح المصنف وجهات نظر جديدة، وتمتع بنظرة حيادية في معظم أرائه.

خامساً: منهج برنابي في الكتاب .

اتبع برنابي روجرسون المنهج التاريخي في عرض المادة العلمية، وتميز الكتاب بأنه ذلك بناء نسيج تاريخي، حيث قام بتتبع المرويات التاريخية، كما نجده تميز بالربط والتأليف بين المعلومات المتعددة بأسلوب واضح وسلس، كما تميز منهجه بالتعليل والتحليل والإيضاح للحقائق التاريخية، وتميز أسلوبه بالسهولة والإيضاح ، واتبع المنهج النقدي الباطني الإيجابي: وهو عبارة عن تحليل الأصل التاريخي بقصد تفسيره وإدراك معناه، والتحقق من معنى الألفاظ وقصد المؤلف مما كتبه. وبمعنى آخر: تفسير ظاهر النص وتحديد المعنى الحرفي له، ثم إدراك المعنى الحقيقي للنص ومعرفة غرض المؤلف مما كتبه[5].

كما اتبع برنابي المنهج الوصفي، لوصف الأحداث التاريخية، ويعتمد المنهج الوصفي التحليلي على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا، ويعبر عنها كيفيا أو كميا، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى[6].

سادساً: مصادره:

ينتمي المصنف برنابي روجرسون إلى مدرسة الاستشراق[7] الانجليزي[8]، وباستقراء كتاب ورثة محمد – صلى الله عليه وسلم – نراه اعتمد على عدد كبير من كتب التراث العربية سواء التاريخية ككتب السير والمغازي والتاريخ العام ، إلى جانب بعض الكتب الأدبية ، كما اعتمد على كتابات بعض المستشرقين، ومن أهم تلك المصادر التي اعتمد عليها :

أولاً: كتب السير والمغازي.

تعد كتب السير والمغازي من أقدم الكتب التاريخية التي تجمع بين الحديث والتاريخ ، فقد دفع اهتمام المسلمين بأقوال الرسول وأفعاله للاهتداء بها والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي، وفي النظم الإدارية، إلى الكتابة في سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفي مغازيه ومغازي الصحابة[9]، ومن أبرز كتب السير التي اعتمد عليها المصنف:

أ) كتاب السيرة النبوية لابن هشام ت 218هـ[10].

وتعد سيرة ابن هشام من أهم المصادر التاريخية، وأكثر كتب سيرة الرسول "صلى الله عليه وسلم" انتشارا بين المسلمين، والمرجع الرئيسي لدارسي السيرة النبوية، وأصل هذا الكتاب ما جمعه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار من المغازي والسير ورواه عنه زياد بن عبد الله البكائي، وجاء ابن هشام فهذب سيرة ابن إسحاق فعرفت به، واشتهرت باسم سيرة ابن هشام، ولا تكاد تعرف سيرة ابن إسحاق[11].

وقد اعتمد المصنف على سيرة ابن هشام اعتماداً كبيراً، وخاصة في الفصل الأول الذ تحدث فيه عن مدينة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، كخبر بيعة العقبة الثانية[12]، عندما اجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم وبايعوه على النصر، فقال لهم النبي – صلى الله عليه وسلم – : " بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم "[13].

ب) المغازي للواقدي[14] :

يعد ما كتبه الواقدي من خلال اسلوبه ومنهجه في (المغازي) بأنه اوثق كتاب تاريخي في المكتبة الاسلامية العامرة . حيث غطت فصوله حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، عرف الواقدي بدقته في تقصى اخباره فهو دؤوب الحركة لا يمل، وكان قد استقصى مادته العلمية لكتابه (المغازي) من خص شيوخه اولا ومشاهدته الميدانية ثانيا، ولذلك كان يستقصى الاخبار التي كان يسمعها بنفسه ،وكان يتصل عند تدوينه لأخباره بذوي الخبرة من المسلمين ويكتب عنهم مادته التاريخية ، حتى ذكر انه قال: ما ادركت رجلا من ابناء الصحابة وابناء الشهداء، ولا مولى إلا وسألته هل سمعت احدا من اهلك يخبرك عن مشهده واين قتل، وهذا دليل على ان الواقدي كان يستقصى مادته التاريخية عن طريق السماع والمشاهدة او القراءة . وكان يستكمل مادته من شيوخه الذين ذكرهم في مقدمة كتابه وهم بحدود خمسة وعشرين من اهل العلم فيهم احد عشر من ائمة الحديث ، منهم الاوزاعي والشيخ ابن ابي الذئب وابن جريج وغيرهم [15].

ومنهج الواقدي في تدوين اخباره يقوم على استخدام الاسناد الجمعي للمتن الواحد، وكان يدخل في احيان كثيرة اخبارا وروايات فردية وذكر اسانيدها الخاصة مما يدل على ان القائمة لمصادرة الاولى رئيسية[16].

ونقل المصنف عنه قصة سرية قتل أبي عفك الذي قتل غيلة وهو نائم، والقصة رواها الواقدي في مغازيه، وابن هشام في السيرة، وأبو عفك وهو أحد شيوخ المدينة، قد بلغ عشرين ومائة سنة حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، كان يحرض على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل في الإسلام. فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر رجع وقد ظفره الله بما ظفره، فحسده وبغى فقال: قد عشت حينا وما إن أرى ... من الناس دارا ولا مجمعا ... الأبيات، فقال سالم بن عمير، وهو أحد البكائين من بني النجار علي نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه. فأمهل فطلب له غرة، حتى كانت ليلة صائفة فنام أبو عفك بالفناء في الصيف في بني عمرو بن عوف فأقبل سالم بن عمير، فوضع السيف على كبده حتى خش في الفراش وصاح عدو الله فثاب إليه أناس ممن هم على قوله فأدخلوه منزله وقبروه[17].

ثانياً: كتب التاريخ.

تعد كتب التاريخ السياسي من أهم المصادر التي اعتمد عليها برنابي روجرسون في كتابه ورثة محمد، ومن أبرز كتب التاريخ السياسي التي اعتمد عليها:

تاريخ الطبري[18]:

يعد تاريخ الطبري من أهم وأشهر كتب التاريخ الإسلامي وكل من أتى بعد الطبري فهو عيل عليه في التاريخ، وعرف هذا الكتاب بأسماء عدة، منها : (تاريخ الأمم والملوك) أو (تاريخ الرسل والأنبياء) أو (تاريخ الطبري)، ويعد أوفى عمل تاريخ بين مصنفات العرب، فاق ما قام به المؤرخون قبله، كمحمد بن إسحاق والواقدي وابن هشام وابن سعد والبلاذري واليعقوبي وغيرهم[19]، ومهد الطريق لمن أعقبه في هذا العلم كالمسعودي مسكويه والخطيب البغدادي وابن الأثير وغيرهم[20].

وقسم الطبري كتابه إلى عهد ما قبل الإسلام وبعده، وفيما يختص بالعهد الإسلامي، فقد رتبه على الحوادث من عام الهجرة الأولى إلى سنة 302هـ، وذكر في كل سنة ما وقع فيها من الأحداث المذكورة والأيام المشهورة، وقد سار هنا على منهج المحدثين بذكر الحوادث مروية بمقدار ما عنده من الطرق ويذكر السند حتى يتصل بصاحبه لا يبدي في ذلك رأيه معظم الأحيان وكان يذكر أحيانا اسم الكتاب الذي أخذ عنه أو اسم المؤلف[21].

واعتمد عليه برنابي في كتابه اعتماداً كبيراً، وخصوصاً فيما يخص أخبار السقيفة وأخبار الردة وفتوحات عمر بن الخطاب وأحداث الفتنة في عهد عثمان، وحروب بين علي ومعاوية ، وتنازل الحسن لمعاوية، وغيرها من الأخبار.

ثالثاً: كتب الأدب:

تعد كتب الأدب من المصادر المهمة لدراسة تاريخ صدر الإسلام، فقد تعرض الكثير منها لذكر روايات تاريخية خاصة بالبلدان، وببعض القضايا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي تعين الباحث في التاريخ والحضارة الإسلامية على الإلمام بهذه الجوانب من الحضارة[22].

المطلب الثاني : نهج البلاغة :

هو كتاب اشتمل على عدد كبير من الخطب والمواعظ والعهود والرسائل والحكم والوصايا والآداب للإمام علي بن أبي طالب ، ويبلغ عددها (مائة وثلاثا وثمانين خطبة، وتسعا وسبعين بين كتاب ووصية وعهد، وأربعمائة وثمان وثمانين كلمة قصيرة)، جمعه فيه الشريف

الرضي[23]، وكان كلامه فيها يدور حول مواضيع وأشياء كثيرة منها: الزهد والتقوى والتوحيد والعبادة، والحكمة والفلسفة، والنصح والموعظة، والمعارك والسياسة، والشجاعة والحماسة وغير ذلك.

وجمع الرضي تلك الأقوال على أساس كتابه (خصائص الأئمة) من(فصل يتضمن محاسن ما نقل عن الإمام من الكلام القصير في الحكم والأمثال والآداب، دون الحكم الطويلة والكتب المبسوطة) [24] ، واختار ثلاثة أبعاد: جعل أولها الخطب والأوامر، وثانيا الكتب والرسائل، وثالثها الحكم والمواعظ، وسماه نهج البلاغة لأنه يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرب عليه طلابه. وفيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد [25].

واعتمد برنابي روجرسون في الفصل الثاني من كتابه ورثة محمد (علي الصحابي الأول للنبي) على كتاب نهج البلاغة اعتماداً كبيراً، ومنها رواية أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مات في حجر علي رضي الله عنه، وهذا الخبر رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة : " وَلَقَد قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ص وإنّ رَأسَهُ لَعَلَى صدَرِي" [26] .

رابعاً: كتب الطبقات والأنساب.

أما كتب التراجم والطبقات فقد أمدتنا بمادة وفيرة عن تاريخ صدر الإسلام، ويأتي على رأس هذه الكتب كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ت230هـ ، فقد أفرد فصولاً عمَّن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وآل بيته عليهم السلام، كما امتدتنا كتب الأنساب بمعلومات قيمة تغافلت عنها كتب التاريخ السياسي ، ويعتبر كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ت 279هـ من أغنى هذه الكتب ، حيث ربط بين معلومات الأنساب العربية من جهة ومرويات التاريخ الإسلامي بطريقة فريدة من نوعها.

وعد الكتابين من أهم المصادر التي اعتمد عليها برنابي في كتابه ورثة محمد، وخاصة في الفصل الأول الخاص بأخبار المدينة، والفصل الرابع الذي يتحدث عن السيدة عائشة وأمهات المؤمنين الأخريات.

خامساً: كتابات المستشرقين.

ومن أشهر كتابات المستشرقين التي اعتمد عليها برنابي، كتب السير وليم موير Sir Muir.W (1819 – 1905م) ، ومن أشهر أعماله " تاريخ الخلافة نشأتها انحطاطها سقوطها " ، وقد تتبع أسلوب سردي استمراري في عرض تاريخ الخلافة منذ النشأة وصولاً إلى نهاية عصر المماليك 923هـ / 1517م . وكان هذا العمل في بداياته حوليات حول تاريخ الخلافة المبكرة ،

ثمَّ استكمله في مؤلف كبير على غرار العمل الضخم للمستشرق الألماني فايل Weil,G تاريخ الخلافة الذي خرج في خمس مجلدات[27]. وقد استند موير بشكل كبير على كتابي الطبري وابن الأثير ، وقد استفاد موير أيضاً من كتاب فايل لاستكمال قصته عن الخلافة[28].

وكتاب السير توماس أرنولد Arnold,T (1864 – 1930م) ، صاحب كتاب الخلافة The Caliphate ، فتوماس أرنولد منذ أنَّ خط كتابه الدَّعوة إلى الإسلام عام 1896م، ظل صائماً عن التأليف البحثي قرابة ثلاثين عاماً[29]، ثمَّ صنف كتابه الخلافة، ووصف الخلافة ما هي إلا حكم استبدادي ثيوقراطي رجعي في طبعه وأسلوبه، لا يتماشى مع متطلعات القرن العشرين[30]. وعد الكتابان من أشهر الكتب الإنجليزية التي تطرقت لموضوع الخلافة وتطورها، وقد تأثر بهما برنابي عندما تحدث عن منظومة الخلافة.

الهوامش:

(1) برنابي روجرسون، ورثة محمد – صلى الله عليه وسلم – جذور الخلاف السني الشيعي، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010، ص 292.

(2) عبد الرحيم رحموني، القضايا العربية المعاصرة: الرهانات والتحديات، مركز الكتاب الاكاديمي، 2020، ص33.

(3) برنابي روجرسون، ورثة محمد ، ص 15.

(4) برنابي روجرسون، ورثة محمد ، ص 14.

(5) عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص 118–119.

(6) المشوخي محمد سليمان، تقنيات ومناهج البحث العلمي ، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص 45.

(7) إنّ الاستشراق يعني معرفة الشرق، وهي ترجمة لمصطلح «Orientalism» في اللغة الانجليزية، على الرغم من أنّ كلمتي «orient» و «east» مترادفتان في الدلالة على معنى «الشرق» إلا أنّ كلمة «east» تأتي في الغالب للدلالة على الجهة الشرقية والجانب الشرقي من كل شيء، وقد تستعمل أحياناً للدلالة على النصف الشرقي من الكرة الأرضية. بينما تطلق كلمة «orient» في الغالب على الأقطار الواقعة فى الشرق من البحر الأبيض المتوسط وأوربا. وربما كان هذا هو السبب في اقتباس مفردة «الاستشراق» و «المستشرق» من الكلمة الثانية، وشاع مصطلح «Orientalism» و «Orientalist». وبطبيعة الحال هناك نوع من التسامح في ترجمة

كلمة «Orientalism» إلى الاستشراق؛ وذلك لأن اللاحقة «al» تدل على معرفة الأشياء «المتعلقة بالشرق» وليس «الناحية الشرقية من الأرض»، إلا إذا اعتبرنا مفهوم «الشرق» يطلق على ما هو أعم من الأراضي الشرقية وجميع ما يرتبط بها. لقد استعمل مصطلح Orientalist للمرة الأولى في مستهل عام 1766م، حيث ورد في موسوعة لاتينية للتعريف بالأب بولينوس، وطبقاً لبعض المؤلفين تعود بداية استعمال هذه المفردة في انجلترا إلى العام 1779م أو 1780م، ومن ثم انتقل هذا المصطلح إلى اللغة الفرنسية عام 1799م، وظهر عام 1838م في معجم الاكاديمية الفرنسية. ودخل إلى معجم اكسفورد عام 1812م. للمزيد انظر: حسن ضياء عتر، الإستشراق : نشأته وأهدافه، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية , مج 5, ع 5، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1981، ص 24؛ محمد حسن زماني، الاستشراق: تاريخه و مراحله، مجلة دراسات استشراقية , ع1، العتبة العباسية المقدسة – المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2014 ، ص176.

(8) تعد مدرسة الاستشراق الانجليزي من أقدم المدارس الاستشراقية التي اهتمت بدراسة تاريخ المسلمين وعلومهم، ومن أشهر رواد هذه المدرسة سيمون أوكلي ت 1730 صاحب كتاب " حياة محمد " وتاريخ السراسنة "، والسير وليم موير ت 1905م صاحب كتب " منارة الحقيقة " أو " شهادة القرآن إلى حقيقة العقيدة المسيحية " وكتاب " الخلافة نشأتها انحطاطها سقوطها "، ومرجليوث ت 1940م صاحب كتاب " بعض التطورات المستجدة في مسألة الخلافة " وكتاب "محمد ونشأة الإسلام"، وكتاب " التطورات المبكرة المحمدية"، والسير اؤنولد توماس ت 1930م له كتاب الخلافة، والسير هاملتون جب 1971 م صاحب كتاب المحمدية ، وكتاب دراسات في حضارة الإسلام، ومارتن هينز وباتريشيا كرون وبرنارد لويس. للمزيد انظر: وائل عبد الوهاب، تاريخ الاسلام المبكر في الاستشراق الانجليزي، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018، ص ص 14–40.

(9) هورفتس، يوسف، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة: حسين نصار، مكتبة مصطفى البابي، القاهرة، 1949، ص 1–2؛ السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2008، ص54.

(10) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري؛ قال أبو القاسم السهيلي عنه في كتاب " الروض الأنف " – شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم – : إنه مشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب ، وجمع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من " المغازي والسير " لابن إسحاق وهذبها لخصها والمعروفة بسيرة ابن هشام، توفي بمصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، ط 7، دار صادر، بيروت، 1994، ج3، ص 177؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ج10، ص 428؛ الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج4، ص 166.

(11) عباس عبيد داود، السيرة النبوية لابن هشام : دراسة تاريخية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة , مج 4, ع 11، الجامعة الإسلامية، 2010، ص 227.

(12) برنابي روجرسون، ورثة محمد ، ص 41.

(13) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق : تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ، بيروت، ص1411هـ، ج2، ص 291.

(14) الواقدي (130 – 207 هـ = 747 – 823 م): محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الاسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة، وكان حناطا (تاجر حنطة) بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة 180 هـ في أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة، فولي القضاء ببغداد. واستمر إلى أن توفي فيها. من كتبه (المغازي النبوية – ط) و(فتح إفريقية – ط) جزآن، و (فتح العجم – ط) و (فتح مصر والاسكندرية – ط) و(تفسير القرآن –خ) و(أخبار مكة) و (الطبقات) و (فتوح العراق) و (سيرة أبي بكر ووفاته) و (تاريخ الفقهاء) و(الجمل) و (كتاب صفين) و (مقتل الحسين) و (ضرب الدنانير والدراهم) وينسب إليه كتاب (فتوح الشام – ط) وأكثره مما لا تصح نسبته إليه، قال الخطيب البغدادي: كان الواقدي كلما ذكرت له وقعة ذهب إلى مكانها فعاينه. وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد (صاحب كتاب الطبقات الكبير). ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري ت230هـ، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 2001 م، ج7، ص 603؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ت748هـ، سير أعلام النبلاء، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ج9، ص 454 وما بعدها؛ الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج6، ص 311–312.

(15) السيد، التاريخ والمؤرخون، ص 64–65؛ الحسنى، رياض هاشم هادى، الواقدي ومنهجه في كتابة سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، مجلة كلية العلوم الإسلامية , مج 3, ع 6، جامعة الموصل ، كلية العلوم الإسلامية ، 2009، ص 23.

(16) الحسنى، الواقدي، ص 23.

(17) ابن هشام، السيرة النبوية، ج6، ص 48؛ الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ت207هـ، المغازي، تحقيق : مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص 175.

(18) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الامام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحاً. ابن خلكان، وفيات

الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط7، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994، ج4، ص 191؛ الذهبي، السير، ج14، ص 367؛ الزركلي، الأعلام، ج6، ص 69.

(19) شاكر، مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ج1، ص 259.

(20) المرجع نفسه, ص 259.

(21) المرجع نفسه, ص 259.

(22) السيد ، التاريخ والمؤرخون، ص 237.

(23) أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق – عليه السلام– ولد ببغداد عام ولد ببغداد عام ثلاثمائة وخمس وتسعين للهجرة، وتوفي عام أربعمائة وست لها. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص 414؛ كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ج4، ص 432.

(24) ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، دار الأندلس، بيروت، 1996، ج1، ص 14.

(25) ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة ، ص 18.

(26) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق : صالح، صبحي، ط4، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص 311 ؛ برنابي روجرسون، ورثة محمد ، ص 59.

(27) عن كتاب فايل انظر :

Dunlop.D.M : Some Remarks on Weil's History of the Caliphes (HME , pp 315 – 325).

(2) Muir,W : The Caliphate , Its Rise , Decline , and Fall , Edinburgh , 1915 , Preface,ppviiix.

(3) Gibb,H.A.R : Arnold,T (DNB Twentieth Century 1922 – 1930 , Oxford , London,1937,p26).

(4) Arnold,T : The Caliphate , Oxford , 1924 , p 18 , 47–48